بناة الفكر الإسلامي في العصور الحديثة :-

لعل معظم بناة الفكر الإسلامي ، هم هدية القرون الأربعة الأولي من الدعوة الإسلامية ، أي من الخلافة الراشدة إلي العصر العباسي الثاني ، ويشمل ذلك الحقبة الأموية وصدر الحقبة العباسية ، ثم فترة المأمون والمعتصم وما تلاها ، أي من القرن السابع الميلادي إلي القرن الحادي عشر الميلادي ، واختلف الوضع في القرن الحادي عشر الميلادي ، عصر الحروب الصليبية التي جندت فيها إمكانيات العالم الإسلامي للدفاع والحرب ، وبرزت في هذه الفترة أدبيات جديدة ، وهي كتب الطبقات لخوف العلماء من اندثار أسماء نجوم الثقافة الإسلامية فتكاتفت جهود العلماء لحفظ الميراث فيما عرف بكتب الطبقات ، وهي مجلدات ضخمة ، تحتوي أسماء العلماء في شتى الفنون وأسماء البلدان الإنتاج الفكري والروحي ، وبرز في حقبة الحروب الصليبية سادات التصوف الإسلامي مثل محي الدين بن عربي وأبو حامد الغزالي وسبقهم عبدالقادر الجيلاني المتوفي 561هـ .

ومن ابرز أسماء الفقهاء في الحقبة الأموية عروة الزهري ، الاوزاعي ، سفيان الثوري ، يزيد بن حبيب ، وغلبت على كتاباتهم جمع الأحاديث وتصنيفها مع شيء من التفسير والفقه وتلتهم المدارس التي نشأت في كنف الدولة العباسية ، وكان أبرز روادها أصحاب المذاهب الأربعة ، ابوحنيفة ، ومالك والشافعي واحمد بن حنبل – وبرز كذلك صاحب كتاب الرعاية لحقوق الله الحارث المحاسبي المولود بالبصرة 681 – 854م ثم فترة الازدهار الثقافي والفكري حيث تنوعت الكتابات في التاريخ " الطبري " وفي العقيدة " الأشعري وفي السياسة الماوردي 364هـ – 450هـ وابن قتيبة 276هـ وفي الأدب الأصفهاني المتوفي 356هـ – 967م – مع بروز الحركات الفكرية المتأثرة بثقافات البلاد المفتوحة – كالإمام القرطبي المتوفي 671هـ .

ثم ذلك طبقة مؤرخين ومفسرين واجتماعيين كابن الأثير المولود 1160م والمتوفي 1233م – وابن خلدون ، المولود 1332م– وابن تيمية المتوفي بدمشق 1328م – ثم دخل العالم الإسلامي في غفوه ولم يبرز جهابذة وإنما برزت طبقة وسيطة كالسيوطي المتوفي 1505 والمقريزي المتوفي 1441م –ثم لم تبرز قامات في الفكر والأدب وإن برزت قامات في التصوف والعرفان ابتداء من الغزالي وابن عربي في القرن الحادي عشر الميلادي وانتهاء بسلطان العارفين جلال الدين الرومي.

ولكن في الأربعمائة سنة الأخيرة ، دخل العقل الإسلامي في مرحلة بيات قرني وليس فقط شتوي، مما عرضه للانحطاط والاستعمار وأصبح المسلم مستعبد للآخر وغير موجود في دنيا الإبداع والتجديد وفي ظل هذا الليل الطويل المظلم برزت بدايات البعث الإسلامي المعاصر مع عثمان دان فودي المتوفي 1817م في غرب إفريقيا وبروز التصوف المنظم في بلاد السودان ، ثم السيد جمال الدين الأفغاني المتوفي 1897 في مصر وإيران والهند ومع محمد عبده في مصر المتوفي 1904 ، وبروز الجهاد المهدوي لنصرة الدين في السودان – ولكن سكنتت جهود هؤلاء المصلحين تحت نيران الاستعمار حتى استيقظت من جديد على حراك وكتابات أبو الأعلى المودودي في الهند والإمام حسن البنا في مصر وعبد الحميد ابن باديس ومالك بن نبي في شمال إفريقيا وبديع الزمان النورسي في تركيا وتلميذ فتح الله كولن . ونختزل ما قلناه أن العقل الإسلامي ما يزال يجتر ويعيد ويكرر ويلزم نفسه بالمدونات الفقهية والفكرية والإجتهادات الصادرة مابين القرن الثاني الهجري والخامس الهجري – أي فترة الأئمة الأربعة ثم أئمة التصوف الكبار كابن عربي والجيلاني والغزالي – ثم برز مؤرخون ومفسرون في العصور الوسيطة كابن خلدون والسيوطي وجلال الدين الرومي – ثم فترة الانحطاط وما تلاها من استعمار ولعمل أبرز أصوات التجديد الإسلامي يمكن أن تبدأ بالشيخ عثمان دان فودي ومحمد بن عبدالوهاب ، أما محمد بن عبدالوهاب المتوفي في عام 1797م أي قبل وفاة الشيخ عثمان دان فودي بعشرين عاما ظهر محمد بن عبدالوهاب في نجد وهاله ابتعاد النجديين وجوارهم عن الدين الصحيح ، حيث شاع العقل الخرافي القائم على الشعوذة والدجل والمصدق بسلطان السحرة والكهنة ، والمتعبد بالنذور والوقوف عند القبور والمشغول عن المعبود الواحد الأحد بغيره ، كما لاحظ أن الحكام يمالئون هذه الأوضاع ويتحالفون معها فكان تحالفه مع آل سعود في مشروع تغيير سياسي / اجتماعي / ثقافي مثل أول خروج معتبر على الدولة العثمانية كما امتدت غزوات الوهابيين إلي النجف وكربلاء في معارك دامية ضد الشيعة وطقوسهم ومزاراتهم .

وتوصل المشروع التوحيدي القائم على تحالف آل سعود مع العلماء والفقهاء إلي أن توج أمره بتوحيد الجزيرة العربية تحت إمرة عبدالعزيز بن سعود وبعده 150 عام من الكفاح الدءوب وإعلان قيام المملكة العربية السعودية بضم نجد والحجاز وتهامة وعسير في عام 1937م .

ولعل مهمة الشيخ عثمان دان فودي المولود في عام 1754م ، كانت أصعب ، لأنه جاء في ظروف اندثرت فيه معالم الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا واختفى الحرف العربي وشاعت الوثنية واللادينية والردة العامة عن مطلوبات الثقافة الإسلامية من صلاة وصيام وغيره

قام مشروع الشيخ عثمان دان فودي على دعامتين ، حركة فكرية تمثلت ربما في ثمانين كتابا أو بحثا أحاط بعلوم ومقاصد الشريعة حيث كتب بلسان عربي مبين عن الإسلام والإيمان والإحسان وأصول الدين وعلوم المعاملة وجواز اتخاذ حلقات علم موحدة للذكور والإناث وشدد على تعليم المرأة ، كما أسس للجهادية الإفريقية ضد مشاريع الجاهلية الإفريقية المتمثلة في الإمارات القائمة على الوثنية والمعتقدات اللادينية .

وقاد عثمان دان فودي الجهاد وحمل السيف إلي أن نجح في إقامة خلافة إسلامية سنية ظلت قائمة إلي أن قضى عليها الإنجليز في عام 1903م ويمكن اعتبار عثمان دان فودي أهم شخصية إسلامية أنجبتها إفريقيا لأن مشروعه قام على تأسيس نظري وجهاد وانتهي إلي قيام خلافة ظلت في عطاء حضاري وفكري قرابة المائة سنة وما تزال نيجيريا وامتدادتها تعيش على مدد دان فودي في الفكر والأدب والشعر والفنون لأنه أباح الموسيقى والطبل .